زيارة سيسكو وروح ١٧ نيسان

منذ ان طرحت مشاريع الحلول السلمية « لازمة الشرق الاوسط » والمشكلة الرئيسية لا تزال حيث كانت من البدء « كيف نقدم حلا يحقق العدو مكاسب توازي انتصاره العسكري في حزيران ، ونقنع الجماهير العربية في الوقت نفسه ان الدبلوماسية العربية قد استطاعت من خلال هذا الحل وبمقدرة فذة عجائبية تحويل الهزيمة الى انتصار كبير ؟ »·

ان هذه المشكلة لم تكن مطروحة على الصعيد العربي فحسب ، بل كانت ،وبشكل خاص مطروحة على صعيد القوى الدولية التي تسعى الى فرض الحل السلمي على العرب ، والى توفير الظروف امام اسرائيل لاستثمار عدوان حزيران وقطف ثماره كاملة ·

ان هذه القوى تسعى كل يوم الى ايجاد الحلول الملائمة لهذه المشكلة ، وزيارة المستر سيسكو الى المنطقة العربية خطوة تنسجم كل الانسجام مع هذه المساعي ·

ان سيسكو قد لا يتوصل الى فرض الحل السلمي في زيارته هذه ، ولكن ابقاء المنطقة في اجواء مشاريع الحل السلمي امر يجب الحرص عليه دوما · ان الجماهير العربية يجب ان تتعود باستمرار على تتبع النشاطات التي تجري من اجل اقرار الحل السلمي ، وان تتالف مع هذه النشاطات ، حتى اذا جاء الوقت الانسب لتمرير الحل السلمي المناسب ، لا يشكل ذلك صدمة كاملة لها تدفعها الى رفضه بقوة وعنف ·

ما نقوله هنا لا يعني اطلاقا ان الحل السلمي مستبعد ، او ان سيسكو لا يحمل مقترحات جدية في نطاق الحل السلمي ·

فالواقع انه قبيل زيارة سيسكو نشطت جهات عديدة مشبوهة من اجل خلق اجواء ملائمة لتمرير الحل السلمي ، ذلك الحل الذي يقول عنه سيسكو ان للولايات المتحدة فيه « جذورا قوية »·

فكما قيل عن جورج براون في السابق انه صديق للعرب ، فان سيسكو هو الاخر اصبح ممثلا بارزا للجناح المعتدل في السياسة الاميركية ، قادرا على تطويب «الاعتدال» الاسرائيلي لمصلحة العرب ، ولحل القضية الفلسطينية ·

من الحديث عن «اعتدال» سيسكو تنتقل الاتجاهات الضارة والمشبوهة الى الحديث عن المتاعب التي تعانيها اسرائيل من جراء رفضها للحل السلمي · فتقرير معهد الاستراتيجية البريطاني الذي ينشر خلال زيارة سيسكو يعلن ان اسرائيل تعاني من عزلة دولية لانها امتنعت عن قبول الحلول السلمية · وتتردد في العواصم العربية صدى حملة دبلوماسية غربية على غولدا مائير بسبب هذا الموقف ايضا· بل ان ناحوم غولدمان نفسه يستخدم المؤتمر اليهودي العالمي منبرا لحث اسرائيل على تغيير السياسة التي سارت عليها حتى الان ، اي سياسة تمييع فرص الحل السلمي ·

هناك ادلة اخرى تقدم لتاكيد شدة التصلب الاسرائيلي ضد الحلول السلمية· منها المظاهرات التي يقوم بها بعض « اليساريين » الاسرائيليين ، والانتقادات التي يوجهها مفكرو حزب المابام للسياسة الرسمية الاسرائيلية · حتى قصف مدرسة بحر البقر يستخدم كدليل على ان اسرائيل تريد ان تعرقل مساعي الحل السلمي ·

الى جانب تسليط الاضواء على التصلب الاسرائيلي ازاء الحل السلمي ، تبذل جهود حثيثة من اجل تضييع معنى هذا الحل بالذات · ان الاتصالات والمناقشات الدبلوماسية التي جرت في نطاق جولة سيسكو او غيره من المبعوثين الاميركيين او الدولتين تبدو وكانها تركز على جانبين فقط من جوانب الحل السلمي : المفاوضات المباشرة ، وتعديل الحدود · ان غولدمان يحث اسرائيل على التنازل عن مبدا المفاوضات المباشرة ، اما ستيوارت وزير خارجية بريطانيا فيدعو الى تخفيف الاضرار عن العرب بحيث تكون التعديلات ضئيلة وطفيفة · جميع الذين يتحدثون عن المقترحات الجديدة للحل السلمي يتجنبون حديث عن النقطة الحساسة لا بل الجوهرية في كافة المشاريع السلمية ، تلك هي طبيعة العلاقات بين اسرائيل والدول العربية عند توقيع معاهدات الذل والاستسلام · ان اسرائيل قد تتنازل عن المفاوضات المباشرة ، وقد تتساهل في حدودها مع الدول العربية، ولكنها قطعا لن تتساهل في تحويل طبيعة العلاقات من علاقات يحكمها قانون اصراع المصيري بينها وبين الامة العربية الى علاقات « امان وسلام » كما يطلب ستيوارت ان اسرائيل لا تمانع في التخلي عن سيناء والضفة الغربية ، مقابل ان تسقط كل الحواجز السياسية والاقتصادية والاجتماعية بينها وبين الدول العربية · عندئذ فانه من المحتم ان تتحول العلاقة بين مجتمع متماسك ، متفوق تكنولوجيا ، متفوق اقتصاديا ، مرتبط بالامبريالية العالمية ، وبين مجتمع مجزأ متخلف ، الى علاقة تبعية واستغلال · وبتعبير اخر فان اسرائيل قد تتخلى عن الجزء الاكبر من الاراضي التي احتلتها لقاء ان تبسط سيطرة شبه كاملة على المنطقة العربية · وهذا الوضع يستقيم مع المفهوم «العصري» للاستعمار القائم على النفوذ الاقتصادي والسياسي اكثر مما هو قائم على الاحتلال العسكري ·

ان ابراز معارضة الحكومة الاسرائيلية للحل السلمي وطمس جوانب رئيسية فيه يهدفان اخر الامر الى تقليل معارضة الجماهير له · « فالحل الذي تعارضه اسرائيل الى هذه الدرجة ، لا بد ان يكون مضرا بها، وبالتالي لا بد ان يحمل الفائدة او بعض الفائدة للعرب » ·

ان مخطط تجريع الراي العام العربي مشاريع الحل السلمي يسير جنبا الى جنب مع مخطط يهدف الى اقتناص موافقة الفلسطينيين من ابناء الامة العربية على هذه المشاريع · من هذه الزاوية يمكننا ان نفهم ذلك الانهماك الكبير في تحديد طبيعة وشكل الدولة الفلسطينية ، وكانها قائمة غدا ، او كان مهمة تحرير الوطن العربي من اسرائيل لن تستغرق سنوات طويلة من الكفاح الشاق والمستمر · ان القوى المتامرة تعتقد انها قادرة على رشوة للفلسطينيين بمشاريع الدولة الفلسطينية لقاء تثبيت الكيان الاسرائيلي والحفاظ عليه · ومن يقف ضد هذه المشاريع بقوة وعنف ، كما تفعل قوى المقاومة الفلسطينية ، فانه يهدد كل يوم بان قواعده ستضرب وبان جماهيره ستمحق ، وان قوى الامبريالية الاميركية نفسها على استعداد للمشاركة في تنفيذ هذه المجزرة البشرية ·

كل هذا يعني ببساطة ان القوى الامبريالية والصهيونية لم تتخل عن عزمها عن تصفية قضية العرب في فلسطين، بل انها تزداد يوما بعد يوما تمسكا بهذا المخطط وايغالا في تنفيذه بوسائل واساليب مختلفة ومتنوعة قد لا يسهل على الجماهير العربية ادراك بواطنها واهدافها · وبالتالي لا يسهل التصدي لها واحباطها ما لم تتلاحم قوى الثورة العربية في نضال عنيد لكشف هذا المخطط وتصفيته ، بدلا ان يكون وسيلة الى تصفيتها ·

من هنا تاتي الاهمية التاريخية للنداء الذي وجهه المؤتمر القومي العاشر لحزب البعث داعيا الى رفض الحل السلمي والى « تكريس التلاحم الكفاحي في سبيل معركة المصير » ، والى بناء جبهة قومية شعبية تلتزم باستراتيجية الكفاح الشعبي المسلح ضد اسرائيل · ان هذه الاستراتيجية هي وحدها الكفيلة بدحر العدوان التاريخي · ومما لا ريب فيه ان دعوة حزب البعث هذه هي حصيلة تجارب قومية كبرى · فالبعث يدرك ، ولا شك ، انه قبل سبع سنوات مثلا ، عندما استطاعت القوى القومية التقدمية ان تتجاوز عوامل الانقسام بينها استطاعت ان تنجز وثيقة وحدوية تاريخية ، هي ميثاق ١٧ نيسان الذي ارسى اساس دولة وحدوية كبرى كان مقدرا لها ان تغير وجه المنطقة العربية ، وان تمنع حصول الكوارث القومية الكبرى التي ابتليت بها الامة العربية ·

ان روح ١٧ نيسان التي تتالق مرة اخرى في مقررات المؤتمر القومي العاشر لحزب البعث ينبغي ان تكون هاديا لنا من جديد كي نكشف من خلالها الحدود الفاصلة بين قوى الثورة العربية وبين قوى الثورة المضادة ، ولكي نستطيع بالتالي الاجهاز على كافة المؤامرات والمخططات التي ترسم من اجل اخضاع الامة العربية للاستعمار والصهيونية والرجعية المحلية ·